

كتابة الآخريّة

د. رشيد رايس

الملخص

تعتبر الكتابة عن الآخر ممارسة حضارية ضرورية للإنسانية، إلا أنها تتطلب مقاييس خاصة منها التمكن من

المعجم الدلالي والسميائي لهذا الآخر ، وهذا ما يطرحه هذا البحث الذي سيتناول مقارنة كاتب فرنسي / موبسان/

لشخصية تاريخية جزائرية ، الشيخ بوعمامة .

L'écriture de l'autre est un acte civilisationnel nécessaire à l'évolution des rapports humains. Néanmoins elle exige quelques spécificités ; entre autre la maitrise du lexique sémantique et sémiotique de cet autre .C'est la problématique exposée dans cet article qui traite l'approche d'un écrivain français / Guy de Maupassant/ d'une personnalité historique algérienne/ Cheikh Bouamama/.

إن تمثيل الآخريّة يدخل في مجال الأجنبي الذي يسكننا سرا. وهذا الحضور الغريب مترسب فينا،

من الاجتماعي. فهو من صنع ما نسميه بالهوية الثقافية. وهكذا ، تلعب الآخريّة على عدة مستويات، منها ، مستوى النفي

والإقصاء ومستوى الاحتضان.

في هذا المقال سنحاول معالجة التقاء كاتب فرنسي وهو موبسان Maupassant بموضوع جزائري، يتمثل في

الشيخ بوعمامة وثورته ، حيث تبرز علاقة الأنا بالآخر . ولدراسة ذلك سنبدأ بتوضيح مصطلح الآخريّة حيث يرجع Le

Grand Robert de la Langue Française الصادر سنة 1989 مصطلح الآخريّة Altérité إلى أصله اللاتيني

ALTERITAS من Alter بمعنى /AUTRE/ آخر .

الموسوعة الفلسفية العالمية (1990) ترجع بالكلمة إلى هيجل الذي كانت تعني الآخريّة بالنسبة له :

« البنية الأساسية لكل واقع تعين / تحديده النهائي » (01) .

فحسب هيجل:

«الأشياء المنتهية تعتبر منتهية في حالة عدم وجود مفهوم واقعها في ذاتها،ومن ثم تصبح بحاجة لأشياء

أخرى لتحديد هذا المفهوم»(02)

(رولان بارت) يرى أن هناك طريقتان لتشكيل الأجنبي:

« تشكيل يتمشى و الفكر السائد /Endoxale/، يرجع بنا إلى الرأي العام و إلى توافق البرجوازية الصغيرة. و

تشكيل مخالف للرأي السائد، /Paradoxale/ يرسل إلى اختلاف حيوي و متعي، إلى لقاء مع الخارق، غير المألوف الذي

يساعدنا على اكتشاف ما يخرج عن ذواتنا / Extranéité / و كفكرة سائدة تكمن الغرائبية في الاهتمام المبالغ فيه

بأشكال البرجوازية الصغيرة المتعلقة باستهلاك الغريب» (03).

يظهر جليا من كلام (بارث) أن الغرب لا يسمح كثيرا بالإعتراف بالآخريّة و هذا راجع لتركزه حول ذاته، فالآخر

غير موجود، و إن وجد فلا يمكن أن ينظر إليه إلا بتلك النظرة العجائبية الغرائبية، لأن الغرب بحاجة لهذه النظرة الغرائبية

كونها تؤدي إلى إظهار تفوقه في كل الأحوال. و تحضرنا هنا قصة عجيبة يرويها (GERALD BARIL) في مقاله :

Repenser L'Altérité (04) بين أنه حتى الاعتراف بهذه الآخريّة يجب أن يكون مضبوطا بقواعد ، فالاعتراف بالغير

فقط بوضعه في عالم غرائبي لا يعتبر اعترافا بقدر ما يعتبر نفيا غير مصرح به. و يقول (BARIL)، أستاذ، و باحث بالـ

Quebec - و عندما وصل باحث يدعى (Maurice GODELIER) إلى خلاصة مفادها أنه تتبأ بأيام جميلة

للأنثروبولوجيا ، نهضت امرأة سوداء البشرة و قاطعت المتدخل بصوت مرتفع :

«يجب أن تموت الأنثروبولوجيا كي نستطيع نحن الأفارقة إيجاد هويتنا»

هذا التدخل يعني أن لا أحد و لا مجموعة بشرية تريد أن تعرف على أنها الغير أو الآخر بالنسبة لفرد أو

مجموعة. أي أن تعرف بالمقارنة مع الآخر و أن الجميع يطالب بأن يكون هو ذاته.

هذا بالإضافة إلى أن فكرة الأنثروبولوجيا و المقارنات التي تجرى في هذا الميدان هي اختراع غربي من الأساس.

فالغرب، كلما تكلم عن ذاته، كان بحاجة للآخرين، كي يثبت دوما أنه في تغير مستمر والآخرين في إستاتيكية مطبقة.

ومن ثم يأتي هذا الرفض للأنثروبولوجيا من طرف الكثير من المجموعات والشعوب، كون الأنثروبولوجيا كدراسة وكعلم، تعتمد عموماً على هذا المنهج الذي يمثل حكم الغرب على الشعوب الأخرى بالبدائية (05)

و لتوضيح ذلك نتابع مع عابد الجابري قوله :

« نقرأ في قواميس الفكر الأوروبي و مصطلحات الفلسفة مايلي: الآخر: أحد المفاهيم الأساسيين للفكر (كان يجب إضافة الأوروبي) و بالتالي يستحيل تعريفه . و يقال في المقابل الذات - Le même الذات-أو-الأنا - . أما هذه الأخيرة / الذات / فلا معنى لها سوى أنها المقابل / للآخر / Autre . / تقابل تعارض وتضاد أو أنها المطابق لنفسه المعبر عنه ب Identité. و هو يترجم اليوم بلفظ الهوية/ أو/ العينية / . أي كون الشيء هو هو ، عين نفسه»(06).

و إذا و دائماً حسب الجابري :

« فالأخرية في الفكر الأوروبي مقولة أساسية مثلها مثل مقولة الهوية /.../ و مما له دلالة في هذا الصدد أن كلمة Altérité أي الأخيرة ذات علاقة اشتقاقية ب Altérer أو Altération و تعنيان تغيير الشيء وتحوله إلى الأسوأ (تعكر ، استحالة ، فساد) كما ترتبط بالاشتقاق بكلمة Alternance التي تفيد التعاقب و التداول ومعنى ذلك أن مفهوم الأخيرة / Altérité/ في الفكر الأوروبي ينطوي على السلب و النفي . بعبارة أخرى : يمكن القول إن ما يؤسس مفهوم الأخيرة في مفهوم الفكر الأوروبي ليس مطلق الاختلاف ، كما هو الحال في الفكر العربي بل الأخيرة في الفكر الأوروبي مقولة تؤسسها فكرة السلب / أو النفي / La négation / ف/الأنا / لا يفهم إلا بوصفه سلباً أو نفياً ل/الآخر/» (07).

و محمد عابد الجابري في تحليله للوضع لم يشعر بأنه يمكن أن يكون الأنا ، بل كل ما فعله هو أنه فكر أنه الآخر "المظلوم" بالنسبة للأنا الذي يسميه الأنا الأوروبي. و الحقيقة أنه لا يوجد أنا أوروبي بل يوجد أنا غربي (08) .

ومن ثم وقع اختياره على مصطلحات السلب و النفي Négatif - Négation و الحقيقة أن الفرق كبير بين الكلمتين و إن كانت كلمة / Négation / ذات علاقة اشتقاقية ب Négatif.

نقول في يومياتنا إن موقف الحكام العرب من القضية الفلسطينية-مثلاً- موقف سلبي لكن هذا لا يعني أن الحكام العرب يقفون موقف / نفي / تجاه القضية الفلسطينية. فهم لا ينقصون دراية و لا ينقصون وعياً بها من شعوب العالم العربي و العالم الإسلامي مجتمعين. و إن كانت الشعوب تموت كل يوم من اجل القضية الفلسطينية فهم (الحكام العرب) يحيون من جديد كل يوم. و من ثم لا يمكن أن نقول بأن هؤلاء الحكام ينفون القضية الفلسطينية.

أوردت هذا المثال لأصل إلى نتيجة مفادها أن موقف الجابري من مصطلح *Altérité* كان مبنيا على فكرة إيديولوجية لا تخرج عما ذكرته آنفا .

فلماذا اختار الجابري العلاقة الاشتقاقية لـ *Altérité* اللفظتين *Altérer - Altération* .

لماذا لم يكتف بمصطلح *Alter* وهو الأصل اللاتيني لكلمة *Altérité* وذهب بهذه الأخيرة إلى أصول لا نجدها إلا عنده . لماذا لم يواصل ويختار *Altercation* مثلا، و تعني هذه الكلمة « النقاش الحاد والمشاجرة » .

لفظ *Altercation* نجده معزولا في القواميس يحمل معنا واحدا «النقاش الحاد و المشاجرة » و لا توجد مشتقات لهذا اللفظ .

بالإضافة إلى ذلك، نلاحظ الميزة التي نسبها الجابري للآخر وهو الذي نظر له من منظور غربي ، ألا وهي ميزة *alternance* [التعاقب والتداول ، وهي ميزة جد إيجابية ، عكس الستاتيكية التي ذكرناها من قبل والتي أكد عليها جارودي كذلك ، وهل يعقل أن يسمح الغرب للآخر المقابل بامتلاك مثل هكذا ميزة ؟ ماذا يتبقى له إذن؟

دومينيك جرو Dominique GROUX يذهب إلى أن التجسيد المعاصر والأصح للمفهوم الذي يمثله

مصطلح الآخر:

« كل إنسان ذات (Ego) وكل ذات (Ego) كي يوجد هو في حاجة إلى آخر *Alter* وهذا الأخير نفسه ذات (Ego) والأول هو (الآخر) *l'alter*. في النهاية فإن الأمر يتعلق بآخر ذات *Un Alter Ego* ويجب أن نعترف بأنه ليس من السهل أن يجهد الإنسان نفسه في التفكير بأن الآخر، والذي هو الأجنبي للأسف هو آخر *Un Alter* ، يساويني فما بالك أن يجهد الإنسان نفسه ويفكر ويصل إلى أنه آخر بالنسبة للآخر»(09).

وهو ما يمكن التعبير عنه بـ (ذات) و (آخر) على أنهما نوعان يتميزان بالعمومية و الضبابية ،يمكن استعمالهما بكل سهولة نظريا، و ما أن يحدث تعارض بين هذه "الذات" و "ذلك" الآخر ، إلا و حدث التصوير والتشكيل للآخر و في نفس الوقت إعادة النظر للذات و هذا ما نجده في تعريف معجم

: LE VOCABULAIRE TECHNIQUE ET CRITIQUE DE LA PHILOSOPHIE

«الآخر هو أحد المفاهيم الأساسية للفكر و من ثم فإنه من المستحيل تعريفه»(10. مما دعا François

THIERREY إلى الوصول إلى نتيجة مفادها:

« أننا نجد فكرة الهوية و فكرة الأخيرة في الفلسفة الديالكتيكية كفكرتين تتمتعان باهتمام كبير، و ذات المستوى

الأول» (11)

تشكيل الآخر مكونات صورة الآخر لا يمكن الكلام عن الآخر دون الكلام عن العناصر التي تدخل في تشكيله، حيث نجد ما هو ذاتي و ما هو موضوعي، ما هو فكري و ما هو عاطفي. ومن بين العوامل المكونة لهذا الآخر و هي تعتبر تشويه للحقيقة نذكر خاصة:

Stéréotype : الصورة النمطية

Préjugés : الأحكام المسبقة / الجاهزة

Le Stéréotype

مصطلح يتميز بالغموض و الميعة، تقابله في اللغة العربية مجموعة من المصطلحات لا تقل غموضا

ولا تقل تشويها فنجد كلمة Stéréotype تعني :

ما يمكن أن يطلق عليه بالفكرة الجاهزة تجاه شخص ما أو وضع ما، كما يطلق عليه النمذج الجاهز، النمط الجاهز، أو الصورة النمطية. و هو من ثم يعكس موقفا أو رأيا متواضعا و غالبا ما يكون هذا الموقف أو هذا الرأي خاطئ ، غير صحيح . و هو أن نقرر مسبقا بأن هذا الشخص أو ذاك غبي أو حقير من دون معرفته، بل بسبب لون بشرته أو لون شعر رأسه أو بسبب شكله. و هذا ما يمكن اعتباره مقلدا من شأن الآخر. موقف انغلاق تجاه الآخر .

le Stéréotype يدخل ضمن مجال الأحكام – فكرة نكونها عن الآخر ويصعب اقتلاعها. les Stéréotypes،

هي التي تكون مصوغات العنصرية والشعور بالتفوق العرقي (Xénophobie/ Homophobie)

و يحمل مفهوم Stéréotype مفهوم السلبية و لا يحمل مفهوما ايجابيا تجاه الشخص – المقصود – و إنما

اعتباره طريقة للإنتقاص من الغير و سحب صفة السلبية عليه .

تعود أصول كلمة Stéréotype إلى اللاتينية Stéréos التي تعني صلب Typos و تعني Type/نمط ، و

تعني بصمة – حرف للطباعة و اعتبر من مصطلحات الطباعة – حيث استعمله (1797 Firmin Aidot) قصد به /

حرف طباعة صلب/ يستعمل لإعادة الطباعة .

و استعملت الأكاديمية الفرنسية سنة 1635 مشتقات الكلمة *Stéréotyper* ، *Stéréotypage* ، *Stéréotypé* و في القرن الثامن عشر كانت الكلمة تشير إلى طباعة الأحرف بالاعتماد على كومة حديدية صلبة نقش عليها الحروف و من ثم جاء مفهوم الصلابة التي تسمح بإعادة الإنتاج مرات عديدة و هكذا يمكن القول بأن *Le Stéréotype* هو ما يخرج من قالب .

مع القرن التاسع عشر أصبح للكلمة معنى جديد مجازي: فكرة مكررة، حكم مسبق . و أصبح مفهوم الكلمة سلبيا حيث كان ينعت العبارات المستهلكة كما جاء في منجد لاروس لسنوات (1865- 1876) بأن *Le Stéréotype* تعني رأيا خاليا من أي أصالة.

دخل مصطلح *Stéréotype* المجال الأدبي بقوة مع انتشار الدراسات المقارنة و هذا مع الاهتمام المتزايد بالصورولوجيا(12).

و يعرف (مورا - J.M.MOURA) :

« إن مفهوم *Stéréotype* — الصورة النمطية ، غامض . و من العادة أن نفرق بين الكليشيه والصورة النمطية؛ الأول ينتمي إلى الأسلوبية ويعرف على أنه أثر لأسلوب غامض من حيث الاستعمال و تظهر لذهنية تقليد تام. أما الثاني فهو فكرة مسبقة، إيمان مبالغ فيه، يتعلقان بقول، بنوع، بشكل ما ولا يهتم الميدان الأدبي فقط.» (13).

و يذهب (مورا - J.M.MOURA) إلى حد تحديد نوع من الصور النمطية يسميه: *stereotypes* و *exotiques* وذلك للتعبير عن التصورات الشائعة عند الغرب لما يسمى 'بالعوالم الغرائبية' ومن ثم المصطلحات المتداولة في هذا السياق(14).

ومن الملاحظ أن الغرب كان السياق و الأكثر اهتماما بدراسة ما يمكن أن نسميه بالصورة النمطية، سواء في الأدب أم علم الخرافة والأسطورة، أم في الأنثروبولوجيا و الأثنولوجيا. سواء تعلق الأمر بصورته لدى الأمم و الثقافات الأخرى أو تعلق الأمر بصورة الآخر في الثقافة الغربية ، دون أن ننسى التركيز على صورته في الغرب ذاته. و كان لهذه الدراسات التي يمكن أن نقول بأنها محلية أي غربية غريبة دور كبير في تصحيح الكثير من الأخطاء و الرؤى المشوهة المتبادلة و إعادة دفع العلاقات على مبادئ و أسس جديدة.

أما فيما يخص دراسة الصور النمطية للغرب لدى الأمم الأخرى ودراسة نمطية هذه الأمم لدى الغرب فقد لعبت دورا تاريخيا مهما في معرفة الغرب وكشف أخطائه مثل ما سمحت لهذا الغرب بمعرفة الآخرين .

موباسون والشيخ بوعمامة :

وصل (موبسان Maupassant) ميناء الجزائر في 6 جويلية 1881 كصحافي. جاء من ثلاثة أسباب

ليجري تحقيقا ميدانيا على ثورة بوعمامة. بوعمامة الجيب- كما يسميه-

- مرضه الذي كان يشعره دائما بالبرودة في بلده، كان إلى درجة كبيرة وراء هذا السفر .

- سبب آخر نراه مهما لموضوعنا ويتمثل في قول فلوبيير له :

« نستطيع تخيل الصحراء ، الرمال ، وأبا الهول قبل مشاهدته ، ولكن ما لا يمكن تخيله قط ، هو رأس حلاق دقن

تركي مقع أمام بابه.

ألا يعتبر من الفضولي أكثر معرفة ما يحدث في هذا الرأس»(15)

و لكن هل استطاع (موبسان Maupassant) أن يعرف ما يجري داخل ذلك الرأس ؟ هل استطاع أن ينفذ إلى

ما يفكر فيه أبناء العالم الآخر الذي جاء ليكتشفه؟

لمعرفة ذلك اخترت من المجموعة القصصية Au Soleil / في الشمس. التي خصص (موبسان Maupassant

كل وقائعها إلى الجزائر، قصة بوعمامة.

و سنركز بحثنا على " الجزائري " كإنسان ، يحيا و يفكر و يشعر أو بعبارة أخرى على " الجزائري " و ما يحدث

في " دماغه " كما يقول (فلوبيير).

بوعمامة أو البطولة اللامعترف بها

عندما وصل (موبسان Maupassant) إلى الجزائر عن طريق البحر في السادس من شهر جويلية 1881 كان

يهدف إلى إجراء تحقيق صحافي لصحيفة Le Gaulois حول قضية الشيخ بوعمامة التي كانت قد وصلت أصداءها إلى

العاصمة الفرنسية ، حيث أن ثورة بوعمامة من أولاد سيدي الشيخ قد استمرت حينها لمدة سنتين في وقت كانت تعتقد فيه

فرنسا أنها قد بسطت سيطرتها على كل التراب الجزائري .

وفي قصة " بوعمامة " يحاول (موبسان Maupassant) أن يصف لنا الشخص من دون أن تسمح له الظروف بمقابلته شخصيا، أو الإطلاع على ما كان يقوم به مباشرة من دون وسطاء ، ومع ذلك ففي هذه القصة يرصد (موبسان Maupassant) لبوعمامة صورة تميزت بالدهاء و البطولة بلغة لا تخلو من الأسلوب الغرائبي في شيء . فهو في الوقت الذي يشير فيه إلى دهاء الرجل وذكائه ، و إلى المتاعب التي سببها للجيش الفرنسي، يضعه في عالم خيالي، يكاد لا توجد له علاقة بالوجود، فيقول :

« يعتقد نفسه ماكرا من يقول ، حتى اليوم ، من كان بوعمامة ، هذا المهرج غير المعروف ، الذي بعد أن أذهل

جيشنا في إفريقيا إختفى كلية حتى أصبح يعتقد بأنه لم يوجد أبدا »(16)

نلاحظ هنا أن الرجل الذي أتعب الجيوش الغربية إلى درجة الجنون ، ليس سوى رجلا مهرجا . فنحن نعرف جيدا أن كلمة farceur ، تعني باللغة الفرنسية من لا يفكر و من ليس من حقه التفكير أو التخطيط و تعود صفة farceur إلى كلمة farce ، وهذه الأخيرة أطلقت على نوع أدبي ظهر بقوة في العصر الكلاسيكي وهو ما يسمى بالمرحلية الهزلية/ la farce التي تقدم مواضيعها إلى الطبقة الدنيا في المجتمع الكلاسيكي آنذاك. هذه الطبقة التي يعتبرها العقل الكلاسيكي، طبقة العامة من الناس، الذين ليس من حقهم و لا بمقدورهم التفكير مثل النبلاء الذين يقودون المجتمع.

فلا يصح لـ(موبسان Maupassant) و هو الكاتب الطبيعي اليساري أن يمنح بوعمامة صفة الحكمة و القدرة على التخطيط، أو وصفه بالإستراتيجي، لأن هذه الصفات تتطلب إنسانا يفكر و يخطط و من ثم فهو عقلاني، والعقلاني لا يمكن أن يكون إلا من الغرب، و الاعتراف بالعقلانية لغير الغربيين يعني نزع شرعية الاستعمار الذي جاء " ليحضر الآخر و يجعله يفكر " بالإضافة إلى وصف أكثر من سنتين من النضال بالتهريج. يصور (موبسان Maupassant) الشيخ بوعمامة و كأنه شيخ غير موجود ، تتناول قصته بين الناس، و منهم أفراد الجيش الفرنسي، لكن لا أحد يعرفه . خرافة تتناقلها الأفواه و في كل مرة تحكى بطريقة، و ما على العقل إلا أن يحكم عليها و يرفضها أو يصوغها بطريقة عقلانية تخدم أغراضا محددة:

« ضباط موثوق بهم ، كانوا يعتقدون معرفته ، وصفوه لي بطريقة ما ، ولكن أشخاص آخرون ليسوا أقل نزاهة ،

متأكدين من رؤيته و صفوه لي بطريقة أخرى » (17)

و عندما يستعصى على العقل تحديد معالم " الشيء الخرافي هناك " فلا بد من صياغته و تحديد كنهه و أبعاده.

«في كل الأحوال، لم يكن المتسكع سوى رئيسا لعصابة، قليلة العدد، أجبرتهم المجاعة من دون شك على التمرد

و العصيان»(18)

و هنا يدخل الحكم المسبق / Le Préjugé لحل مشكلة الكاتب الذي لم يستطع معرفة الحقيقة ، فبعد أن يذكر

الكاتب ما قاله بعض الضباط ، يضيف «ولكن أشخاص آخرون ليسوا أقل صدقا، تأكدوا من رأيتهم » ، وهنا يلتجئ

الكاتب إلى عبارة " في كل الحالات " ، و يبدأ في إصدار أحكام سابقة لمعرفته القطعية للحقيقة .في حين أن الحقيقة هنا

ليست خيالا ولا خرافة بل هي تتمثل في الشيخ بوعمامة و رفقاءه.

بعد أن يمنع (موبسان Maupassant) نفسه منح بوعمامة صفة حكمة التخطيط و الذكاء و يمنعه من صفة

الوجود الواقعي، يجعله شبيها إلى حد ما بالخرافة و اللاواقع.

يوصل (موبسان Maupassant) ليحرم الشيخ بوعمامة، و رفقاءه ، ومن ثم أي مواطن جزائري من ميزة

إنسانية، حتى لا نقول حضارية لأن الغرب لا يعترف أساسا بشيء اسمه الحضارة لدى الشرق، ويتمثل ذلك في الدفاع عن

الكرامة وعن الحق في الوجود، لأن بوعمامة و رفقاءه لا يمكن تفسير سلوكياتهم، و من ثم ثورتهم إلا بالغريرة والتوحش.

ويحكم (موبسان Maupassant) قائلا :

« أجبرتهم من دون شك المجاعة على التمرد ، هؤلاء الناس لم يقاتلوا إلا ليفرغوا المطامر أو لينهبوا القوافل » 19

لولا المجاعة وميول هؤلاء السكان للهمجية و السرقة ما كانت ثورة بوعمامة أن تكون من الأساس . هذا ما يريد

قوله (موبسان Maupassant)

الذي يضيف :

« يظهر بأنهم لم يفعلوا ذلك، لا عن حقد ، ولا عن تطرف ديني ولكن بسبب المجاعة .» (20)

المفارقة العجيبة هنا هو أن (موبسان Maupassant) في الوقت الذي يجعل فيه الجزائري لا يثور إلا من أجل بطنه

أي يجعله غريزيا ، يثور فقط من أجل تلبية إحدى غرائزه يجعله لا يحقد ، و الحقد أمر غريزي و تجاوز الأحقاد يعتبر

سلوك حضاري، أم أن موبسان يفكر مثل (فرنون بروديل) بأن الأحقاد هي التي تبني الحضارات. ومن ثمة فإنه ليس من حق الجزائري أن يشعر بالحق تجاه المستعمر لأنه ليس من حقه أن يفكر في بناء حضارة.

بالإضافة إلى ذلك فهو لا يريد أن يعترف بحق الشعب في الدفاع عن دينه وإنما يسمي ذلك التطرف الديني.

و عندما يكون بوعمامة قادرا على تمويه الجيش الفرنسي و إيهامه بوجوده في عدة أماكن في نفس الوقت :

« في ذات اليوم تشير البرقيات الرسمية لوجود بوعمامة في نقطتين تبتعد كلاهما عن الأخرى مائة و خمسون

كيلومترا »(21) .

يرجع موبسان ذلك لعجز هذا الجيش و ضباطه و تراخيهم عن أداء مهامهم، عوض الاعتراف بتخطيط بوعمامة،

معتمدا في ذلك على مصادر هو ذاته لا يثق فيها (22) .و يرجع أسباب عدم قدرة العدو على ملاحقة بوعمامة إلى

التقاعس وعدم الاكتراث لدى ضباط الجيش الفرنسي :

« بدا لي الكاريكاتور الروحي ، الذي ألفه أحد المعمرين بطريقة جيدة يوضح القضية ، ويمثل هذا الكاريكاتور

جنرالا ضخما ، مضفورا ، ذات شوارب، يقف مقابل الصحراء ، يتأمل الجنرال الضخم ، بأعين محتارة، البلد الشاسع،

العاري ، الكثير الأودية و الذي لا يمكن رؤية حدوده إطلاقا ، و يتمتم : " إنهم هنا !... في مكان ما ! " ثم وهو يتوجه

إلى ضباط الأوامر و من دون القيام بأي حركة ينطق الضابط المتواجد خلف الجنرال بصوت ثابت: " أبرقوا للحكومة بأن

العدو يوجد أمامي و إني بدأت في متابعته " »(23)

و يقسم (موبسان Maupassant) الشعب الجزائري إلى قبائل ومجموعات، يجعل بعضها يتميز عن البعض

الآخر، دون أن يتعدى هذا التمييز الجانب الفطري والطبيعي عند كامل المجموعات التي يقف عندها عندما يقول :

« في محيط الحلفاء هذا ، في هذه الغابة الخضراء الواسعة /الفسحة ، الجامدة تحت السماء المشتعل كانت تعيش

أمة حقيقية ، أحشاد فوضوية من الرجال ذات البشرة السوداء ، مغامرون ، طردهم الحرمان أو أمور أخرى من بلادهم .

متوحشون ، وخطرون أكثر من العرب ، معزولون بعيدا عن كل مدينة، بعيدا عن كل قانون ، بعيدا عن كل قوى

لنقل أنهم فعلوا ما فعل أجدادهم فوق الأراضي الجديدة لقد كانوا عنيفين ، دمويين ، مرهبين تجاه السكان البدائيين /.../

لقد كان تأر العرب رهيبا»(24)

الكل بدائي ، متوحش ، و المجموعة التي يسميها (موبسان Maupassant) بالأمة الحقيقية ، ليست سوى حشدا فوضويا ذات البشرة السمراء . حشد مغامر يعيش في عزلة ، بعيدا عن الحضرة ، بعيدا عن القوانين ، بعيدا عن الحضارة . وعندما يصف (موبسان Maupassant) هؤلاء المغامرين بالأكثر بطشا و دموية من العرب، فقد جعل الجميع يشترك في هذه الميزات . لا تتفوق مجموعة على المجموعة الأخرى ، إلا في الهمجية و البدائية و الحيوانية . و إن حدث و اعترف (موبسان Maupassant) لهذه البشرية المنحطة بخصال إنسانية تقربها إلى الحضارة ، فإنه ليزيد من التأكيد على تخلفها وانحطاطها وشذوذها :

« كان يسمى Blas Rojo Pelisaire ، كان مع زملاء له يوم 10 جوان مساء ، يقود قافلة متكونة من سبعة عربات ، عندما وجدوا في الطريق عربات أخرى محطمة . بقي واحد منهم حيا ، بدؤوا في علاجه لكن فرقة من العرب أنقضت عليه . لم يكن للأسبان إلا بندقية واحدة ، فسلموا أنفسهم ، إلا أنهم قتلوا جميعا ، عدى (بلاز راجوا) ، الذي احتفظوا به ، من دون شك بسبب شبابه وجمال وجهه . نعلم أن العرب ليسوا أبدا ، لا مبالين تجاه جمال الرجال » (25)

و من دون أي يقدم أي سبب على وجود الأسبان في هذه الأراضي ، بالرغم من الموقف المتحفظ لـ(موبسان Maupassant) تجاه الكولون ، فإنه يجعل منهم ضحايا و يؤكد مقابل ذلك على بربرية رجال الشيخ بوعمامة في كل الأحوال و في كل الأوضاع ، و بالإضافة إلى تفسير حفاظهم على حياة أسير على أنه ليس بالعمل الإنساني بل بالعمل الشاذ و المتوحش .

و مقابل هذه الوحشية التي يصور بها (موبسان Maupassant) رجال الشيخ بوعمامة يضيف عليهم نوعا من " السرائبية " عندما يواجهون الجيش الفرنسي ، ويجعلهم قريبين إلى الخيال من الوجود الواقعي ، و إن كان هذا لا يمنع الجيوش الفرنسية من التغلب عليهم في حين تصعب متابعتهم :

« عندما يهاجمون ، يمكن الانتصار عليهم ، وكنا ننتصر عليهم دائما تقريبا ، بالرغم من شجاعتهم لكن لا نستطيع إطلاقا متابعتهم ، لا يمكن أبدا اللحاق بهم عندما يهربون . كما أنهم يتجنبون ببراعة اللقاءات و يكتفون عموما بمناوشة فرقنا . يهاجمون بإندفاع ، و بعجلة عنيفة من أحصنتهم الهزيمة يصلون كعاصفة ثياب متموجة و غبار » (26)

إنه الشرق بالنسبة للغرب ، لا يستطيع المواجهة و في حالة مواجهته يصبح سرايا ، أليس هذا هو العالم الخيالي الذي يريده الغرب للشرق .

و بوعمامة رجل يكاد يكون خرافة، بل هو خرافة، لا صلة تربطها بالواقع حسب (موبسان Maupassant) و الحقيقة أن هذا الأخير لم يرد الاعتراف بأن في الحروب استراتيجيات مختلفة، حسب الوضع، المكان، الزمان و التسليح ... إلخ. ولكن يبقى المهم هو البحث عن الإنتصار في كل الأحوال.

إلا أن (موبسان) يبدو أنه يجهل أو يرفض منطقاً الآخر الذي هو في وضع آخر و يمكن أن نرجح أنه يجهل هذا المنطق الآخر. كون فرنسا لم تتعرض للغزو من قبل، و من ثم ف (موبسان) لم يكن يعرف أن هناك ما يسمى بحروب "العصابات"، "المجموعات"، "المظلومون".

الهوامش

أحمر و إنما نقول الخيط الأبيض و الخيط الأسود و الآية صريحة في ذلك:

(1) Gerald BARIL : 'Repenser L'Altérité', Altérité : vol.1, No 01, Quebec, Automne 1996 « [http:// agora.qc.ca/mot nsf/dossier/Altérité](http://agora.qc.ca/motnsf/dossier/Altérité) ».

(2) loc. cit.

(3) Roland BARTHES : cité par J. M. MOURA : La Littérature des lointains-Histoire de l'Exotisme Européen au xx siècle- : Honoré Champion Editeur, Paris, 1998, pp.20.2.

(4) Gerald BARIL : Loc. cit.

(5) هاني إدريس : نقد الانترنتولوجيا والتمركز الغربي، حالة أفريقيا. الكلمة : العدد 2، السنة الأولى، 1994،

بيروت، لبنان. ص 91.92

أنظر ما يقوله ادوارد سعيد حول المقارنة، وخاصة الأدب المقارن كحقل من حقول التخصص في العلوم الإنسانية وعلاقته بالامبريالية:

ادوارد سعيد: الثقافة والامبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط 2، 1998، ص 113، 116

أنظر كذلك : L. J. CALVET : Linguistique et Colonialisme, PetitenBibliothèque de Payot, : Paris, 2002, p.42 à p.49

(6) محمد عايد الجابري : "الغرب والاسلام"، فكر ونقد ، العدد 03، السنة الأولى، 1997، الرباط، ص 05

(7) المرجع نفسه، ص 05، 06.

(8) المرجع نفسه، ص 06.

(9) Dominique GROUX : L'altérité, l'Harmattan, Paris, 2003, pp.32,33.

(10) Le vocabulaire Technique et Critique : cité par Hubert GOURDON : Revue Algérienne des Sciences Juridiques Economiques et politiques, Volume xI No.1, Mars ,1974, Alger, p.101.

(11) Loc. cit

(12) اعتمدنا كثيرا في سرد هذه التفصيلات على DITL : Loc. cit. ويوضح S. GILMAN طبيعة الصور

النمطية بقوله:

« Les stéréotypes reflètent un réseau grossier de représentations mentales du monde. Ce sont des palimpsestes sur lesquels les représentations bipolaires initiales se laissent encore vaguement déchiffrer. Leur structure en dyade, qui reflète ce stade premier où nous cherchions à refouler la rupture que nous ressentions dans le monde, offre l'illusion nécessaire de la dichotomie entre le moi et l'objet. Le stéréotype perpétue un sens de la différence qui nous est indispensable: différence entre le moi et l'objet, lequel devient l'« Autre » dans nos représentations mentales stéréotypées. La frontière qui distinguerait l'Autre des projections du moi n'existe pas, et doit dès lors être introjectée dans un absolu. Pour renforcer cette illusion de l'absolu, cette frontière dynamique offre la même capacité à se modifier que le moi. Ces modifications se laissent voir dans les relations fluctuantes des stéréotypes antithétiques, miroirs parallèles des représentations « bonnes » et « mauvaises » du moi et de l'Autre. Mais cette frontière entre le « bon » et le « mauvais » réagit aux tensions qui se produisent au sein de la psyché. Nous développons une capacité d'identification avant même de former un langage rationnel Comme le fait observer Mélanie Klein : «L'identification est un stade préliminaire non seulement de la formation du symbole mais aussi de l'évolution de la parole et de la sublimation. Celle-ci s'explique par le fait que, au lieu d'être un moyen de la formation du symbole, des fantasmes libidinaux s'attachant, sur le mode du symbolisme sexuel, à des objets, des activités. et des intérêts particuliers. » La première phase libidinale est liée à l'élaboration d'un langage d'image symboliques et codées qui reflètent l'organisation bipolaire de la psyché. Des déplacements paradigmatiques peuvent se produire dans nos représentations du monde lorsque celles-ci sont exprimées de façon symbolique. Nous pouvons glisser de la crainte à la glorification de l'autre, de la haine à l'amour on peut trouver au plus négatif des stéréotypes un contre poids positif explicite. Comme les images changent, les stéréotypes évoluent: ils sont de nature protéiforme et non rigide. »

Sander L. GILMAN : op. cit. pp.14,15

(13) J. M. MOURA : Lire L'exotisme, Edition du Nord, Paris , 1992, p.100.

« Quant aux stéréotypes, leur nom même dénote la fixité comme le trait le plus saillant de ce mode particulier d'appréhension intellectuelle. Par contre, le préjugé peut, dans un esprit ouvert, fondre au feu d'une meilleure information, tout à coup permise. Il est davantage une opinion insuffisamment étayée d'expérience qu'une image. et son comportement à l'égard de la durée le prouve. » J.M.MOURA :Loc. cit

(14) Ibid : p.103

(15) Guy de Maupassant : Au soleil Présentation de Denis BRAHIMI, Le Sycomore, Paris, 1982., p.51

(16) Maupassant : op.cit . p.79

(17) Ibid. p.80

(18) Ibid. p.85

(19) Ibid. p.80

(20) Ibid. p.86

(21) loc. cit.

(22) MAUPASSANT: op. cit. p.90

(23) Ibid ; p.86

(24) ibid. p.90

(25) Ibid. p.86

(26) loc.cit.

قراءة في التغطية الإعلامية النقدية للعرض المسرحي

(الصحف المكتوبة باللغة الفرنسية انموذجيا)

أ- أحمد جكاني

جامعة بشار

الملخص:

هي مجرد قراءة لما يسمى بالتغطية الصحفية/ الإعلامية للعرض المسرحي، و الذي عادة ما يخصص له ركن في جريدة يومية أو أسبوعية أو في صفحة ثقافية خاصة بأخبار الفن و النشاط الثقافي. و هذه الكتابة/التغطية هي عبارة عن انطباعات ذاتية محكومة بزمن عرض النص و ملاسبات المحيط. و مما يلاحظ أنها كتابات غير متخصصة يغلب عليها الطابع الإعلامي الصحفي من حيث اللغة، و الأسلوب مما يجعلها تبدو و كأنها عبارة عن دعاية أو إعلان لعرض ليس إلّا. و هذا ما يظهر بشكل جلي و واضح إن نحن بحثنا عن الجوانب المتعلقة بالتواضع والأطراف المشكلة للسينوغرافيا من حيث فضاء العرض و الإنارة و الموسيقى و الديكور، و ما إلى ذلك مما يشكل البناء المتكامل لأي عرض مسرحي.

الكلمات المفتاحية: Mots clés

النقد الصحفي-الإعلامي-العرض المسرحي-الانطباعات-التغطية الصحفية-لغة العرض-التزامن الفني للعرض-الصحف اليومية و الأسبوعية-الكتابة غير المتخصصة-النقد الكاديمي-المؤهلات المعرفية و الجمالية-الكتابة التراكمية-الدعاية و الإعلان-الخطاب المسرحي-بنية العرض.

Summary

It is solely a reading of what is called press coverage of a theatrical show, which is generally allocated a part in a daily or weekly newspaper, or even in a cultural page for artistic news and cultural activities. Such type of writing/coverage is a kind of subjective appreciation tied to the very time of the show and its surrounding context. It is noticed that these writings are not specialized, characterized by an informative journalistic mode in terms of language and style, which makes them seem merely like a propaganda or an advertisement for show. This is clearly apparent if we consider related scenographic components such as the